المبادئ والشعارات الثورية ما بين النظرية والتطبيق

في العصر الأموي

(القصاص ـ العدل والمساواة ـ الشرعية أنموذجا)

إعداد

دكتور/ حمدي أحمد محمود يوسف

اصدار ابريل لسنة ٢٠١٩م

شعبة الدراسات التاريخية والاثرية

.

المقدمة

تعود أهمية هذا الموضوع إلى أنه يتناول المبادئ والشعارات التي تغنى بها مُفجرو الثورات وقادتها في العصر الأموي وإمكانية تطبيقها وترجمتها على أرض الواقع إلى أفعال حقيقية يشعر بها ويلاحظها من أمن بها واعتنقها وضحى من أجلها .

فضلا عن ذلك فإن الدولة الأموية اكتسبت شرعيتها من خلال رفع شعار ومبدأ القصاص للخليفة المقتول ظلما عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ الذي نادى به مؤسسها معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ من منطلق أنه ولي لدمه .

هذا وقد تعرضت الدولة الأموية للعديد من الثورات التي اندلعت بغرض الإطاحة بها ولإقصاء بني أمية عن سدة الخلافة أو لإقصاء شخص الخليفة نفسه مع الحفاظ على كيان الدولة وقد كان لهذه الثورات مبادئ وشعارات براقة لها مدلولها وخصوصيتها معبرة عن واقع المجتمع بما يضمن لها النجاح واكتساب المؤيدين .

مما دفع البحث والباحث إلى دراسة هذه الجزئيات من الشعارات والمبادئ الثورية في العصر الأموي وقد وجدت كتابات متفرقة حول موضوع **المبادئ والشعارات الثورية بين النظرية والتطبيق في العصر الأموي(القصاص ـ العدل والمساواة ـ الشرعية أنموذجا)** عبارة عن جزئيات ذات عمومية دون غوص فيها ولذلك تأتي هذه الدراسة في محاولة لإتمام ما نقص ولبنة أخرى بتوفيق من الله لإلقاء الضوء على هذا في العصر الأموي .

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى
هل الايمان بالمبادئ وانعكاسها وتجسيدها للواقع يضمن لها النجاح ؟
أم صياغتها بأسلوب براق يجذب الجميع إليها ؟
أم تطبيقها وتجسيدها على أرض الواقع لكي يشعر المجتمع بالتغيير؟
وهل طبقت هذه المبادئ على أرض الواقع من قبل المنادين بها ؟ أم أنها كانت شعارات ووعود براقة استهدفت جذب مزيد من الاتباع والمؤيدين ؟
وهل يوجد بعض الشبه الملحوظ بين مبادئ هذه الثورات ؟

إن مبادئ وشعارات أي ثورة تعكس الواقع الذي يحياه المجتمع في تلك الفترة وكلما كانت هذه المبادئ صادقة ومعبرة عن حالة المجتمع وواقعه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي كلما كانت الاستجابة لها والإيمان بها أمر فرضي وحتمي لمن تمثلهم هذه المبادئ

هذا وقد تعددت المبادئ والشعارات الثورية بين القصاص للمقتول ظلما ، تحقيق المساواة والعدل ، الشرعية ،الخ...،وسوف نتناول أهم هذه المبادئ بشي من التفصيل

أولاً- شعار ومبدأ القصاص :-

لقد حرم الله القتل وسفك الدماء وبين أن من قُتل مظلوماً جعل لوليه سلطانا في القصاص ذلك الأمر الذي استخدمه معاوية بن ابي سفيان٤١- ٦٠هـ /٦٦١- ٦٨٠م واتخذه شعاراً ومبدأ ثوريا لمناوئة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ٣٥- ٤٠ هـ / ٦٥٦- ٦٧٩م حيث كان القصاص من قتلة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ٢٣- ٣٥هـ / ٦٤٤- ٦٥٦م هو الشعار والمبدأ الذي التف حوله أهل الشام مع معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - وقُتِل في سبيله ألاف المسلمين " جمع معاوية أهل الشام على محاربة علي والطلب بالأخذ من دم عثمان " (١)

١ - سيف بن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص ١٠٢، ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، جـ ٢ ، ص ٥٢٩. ٥٣٠، الثقات ، جـ ٢، ص ٢٨٤، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤،ص ٤٤٤، ٥٦١، ٥٦٢.وانظر أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ص ٤١، ٤٢،٨٤، P.J. Stewart: Unfolding Islam , Britsh Library, printed in Lebanon , First edition , 1994,p.134.

وقد اتضح هذا الأمر أيضا عندما سأل أبو مسلم الخولاني ت ٦٤ هـ / ٦٨٤م معاوية بن ابي سفيان عن سبب قتاله لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال له معاوية : " والله ما نقاتل عليا، وأنا [لست] أدعي في الإسلام مثل الذي له، ولكن أقاتله على دم أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأنا أطالبه بدمه "[١]

ذلك الأمر الذي أدى إلى تشرذم الأمة الإسلامية وتفككها وتحزبها ، بل يمكن القول أن ما نعيشه اليوم من فرقة وتحزب (سنة ـ شيعة) ما هو إلا نتاجا لهذا الشعار والمبدأ الثوري الذي نادى به أهل الشام وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ.

السؤال هنا

هل قام معاوية ـ رضي الله عنه ـ بالقصاص من قتلة عثمان ؟ وهل عرفهم أم أنهم قتلوا في صفين؟ وهل هم كانوا معلومين لعلي ـ رضي الله عنه ـ وأجل القصاص منهم ؟

إن الحد الفاصل بين ممارسة الحاكم للقوة وممارسته للإقناع هو في الواقع حد دقيق يحدده رجال مدربون على فن الحكم، لذلك طلب علياً ـ رضي الله عنه ـ من معارضيه أن ينتظروا حتى تهدأ الثائرة ويتحقق من الأمر ويعرف من القاتل إلا أنهم لم يمهلوه واشتعلت حرب صفين ، ومن قبلها حرب الجمل التي قادها طلحة بن عبيد الله ت ٣٦هـ /٦٥٦م والزبير بن العوام ت ٣٦هـ /٦٥٦م وشهدتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ت ٥٨هـ /٦٧٨م " إن عائشة قصدت الإصلاح بين الناس " وقُتِل فيها من قُتِل من المسلمين وخيرة الصحابة [٢] .

١ـ ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، جـ ٢، ص ٥٣٦.

٢ـ سيف بن عمر : الفتنة ووقعة الجمل، ص ١١٣ ،١١٦، ١٥٨،١٤٥، ١٧٩، ابن حبان : المصدر نفسه، جـ ٢، ص٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٤، ص٤٥٨، ٥٣٨ ، وانظر كرين برنتون : دراسة تحليلية للثورات ، ترجمة عبد العزيز فهمي ،مراجعة محمد انيس، ص ٤٧،

Gordon:The rise Of Islam,Printed in The United States of Amirca ,First Published,2005,p.34, P.J. Stewart: Unfolding Islam,p135.

بالرغم من وجود الذين اشتركوا في الثورة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقتله ، ضمن قوات علي ـ رضي الله عنه ـ أثناء خروجه لبلاد العراق إلا أنه لم يعترف بهم ولم يعقد معهم أي اتفاق والدليل على ذلك أنه لم يول عليهم أحداً " ودعا علي محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء وولى عبد الله بن عباس ميمنته وعمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان ابن عبد الأسد - ولاه ميسرته ودعا أبو ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخ أبي عبيدة بن الجراح فجعله علي مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن عباس ولم يول ممن خرج على عثمان أحدا" [١].

وقال أيضا : " لما جاءت وفود أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير ..... وإني راحل غدا فارتحلوا ألا ولا يرتحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس وليغن السفهاء عني أنفسهم."[٢]

هذا دليل مادي على عدم رضاه عما فعلوه وعلى صدق نواياه في محاكمتهم والقصاص من قتلة عثمان بعد أن يقيم عليهم الحجه والدليل ،خصوصا أنه أيضا كان يرى أنه محاصر وبقية الصحابة مثل عثمان ـ رضي الله عنهم ـ جميعا ولم يكن بالمدينة جيش يحميه ويحميهم من الغوغاء ويتضح هذا من كلامه أثناء معاتبة ابنه الحسن ت ٥٠هـ / ٦٧٠م له فقال له : " أي بني أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان فو الله لقد أحيط بنا كما أحيط به... والله ما زلت مقهورا مذ وليت منقوصا لا أصل إلى شيء مما ينبغي ." [٣]

١ـ سيف بن عمر: الفتنة ووقعة الجمل، ص ١٠٧، ١٠٨

٢ـ سيف بن عمر : المصدر نفسه ، ص ١٤٧، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٤، ص ٤٩٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،جـ ٢، ص ٥٩٣.

٣ـ سيف بن عمر : المصدر نفسه ، ص ١٢٠، الطبري : المصدر نفسه ، جـ٤، ص٤٥٦، ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص٨٣،ابن الأثير : المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٨٣

هذا وبالرغم من موقف معاوية ـ رضي الله عنه ـ وتحمسه ومطالبته لعلي ـ رضي الله عنه ـ بالقصاص من قتلة عثمان ـ رضي الله عنه ـ يلاحظ أنه وبعد أن انقضى الأمر إليه ـ رضي الله عنه ـ بتنازل الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ ٤١هـ /٦٦٢م مقابل حقن دماء المسلمين وذلك بعد استشهاد علي وتوليته الأمر من بعد أبيه ،لم يتعرض معاوية ـ رضي الله عنه ـ أو يتطرق خلال هذه المعاهدة إلى قتلة عثمان ـ رضي الله عنه ـ أو القصاص منهم بأي شئ أو إشارة بل كأن الأمر لم يكن [١].

وقد تطور هذا المبدأ مع الحجاج بن يوسف الثقفي ت ٩٥هـ / ٧١٤م الذي اتخذ من مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ ذريعة لكي يرهب الناس ويطوعهم لأمره ، ولإخماد أي تمرد قد يشتعل ضده ، خصوصا عندما تكاسل أهل العراق عن الجهاد ضد الخوارج ، فقام بقتل من تقدم إليه يطلب العذر عن القتال بحجة أنه ممن أعان وشارك في قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ فكانت حُجة الحجاج لقتل عُمير بن ضابيءِ بن الحارث البُرْجُميِّ ت ٧٥هـ /٦٩٤م أنه دخل على عثمان مقتولاً فوطئ بطنه حتى كسر ضلعين من أضلاعه [٢]

١ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥، ص ١٦٢،١٦٣ ، ١٦٤، الدينوري : الأخبار الطوال ، ص٢١٨، الكوفي : الفتوح ، مج ٢، ص٢٩٣ ، المقدسي : البدء والتاريخ ، مج٢، ص٢٣٦وانظر علي الصلابي : الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار ، جـ١، ص١٣٨،١٣٧ ،١٥٢، ١٥٣،١٥٤ ،١٥٥ ، محمد سهيل طقوش : تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ص ٤٨٣، جميل بيضون : الفتنة الأولى ونهاية الخلافة الراشدة ،ص١١٥،على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ، ص٢٦٩،
Donner: Muhammad And Caliphate,p.16 (History of Islam, Edited by Johnl. Esposito, oxford Uneveristy,1999).

٢ـ المقدسي : البدء والتاريخ ، جـ ٦، ص٣١، محمد بن أبي بكر البُرِّي: الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، جـ ١، ص١٨٠ ،١٨١.

بناء على ذلك الموقف إن قتلة عثمان - رضي الله عنه - كانوا معروفين ومتواجدين وأن الدولة ممثلة في معاوية - رضي الله عنه - وخلفاء بني أمية من بعده لم يتعرضوا لهم ولم يقتصوا منهم ،وأن شعارهم ومبدأهم الذي نادوا به ما هو إلا وسيلة براقة وشعار للوصول إلى سِدة الخلافة والحكم فقط ، فضلا عن طموح معاوية وتطلعاته ومكونات شخصيته في الزعامة والقيادة.

وإذا فرض أن هذا الشيخ الذي قتله الحجاج براء من دم عثمان فإن هذا الشعار أصبح وسيلة ضغط سياسية أستخدمها عمال وخلفاء بنى أمية للتخلص من معارضيهم وحجة للقتل .

فأستخدم هذا الشعار وهذا المبدأ مروان بن محمد ١٢٧ - ١٣٢ هـ / ٧٤٤- ٧٥٠م مبرراً ثورته على يزيد بن الوليد١٢٦- ١٢٦هـ / ٧٤٤ - ٧٤٤م برغبته في القصاص للخليفة الذي قُتل ظلما[١] الوليد بن يزيد ١٢٥- ١٢٦هـ/ ٧٤٣- ٧٤٤م فصالحه يزيد بن الوليد على أن يعطيه ولاية أرمينية والموصل وأذربيجان" وكاتبه يزيد على أن يبايعه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد بْن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان، فبايع له مروان" فبايعه مروان عندئذ بالخلافة وتناسى ثورته وشعاره[٢] .
وبموت يزيد بن الوليد حدث فراغ سياسي لم يستطع ولي عهده إبراهيم بن الوليد١٢٦ - ١٢٧هـ / ٧٤٤م ملء هذا الفراغ فثار عليه مروان بن محمد وأظهر دعوته من جديد بالمطالبة بدم الوليد ابن يزيد والبيعة لابنيه الحكم وعثمان[٣] .

١- ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٧٣، الدينوري : الأخبارالطوال ، ص ٣٥١، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧،ص ٢٨١، ٢٩٦
٢- الطبري : المصدر نفسه ، جـ ٧، ص ٢٩٨
٣- ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٧٢، ٣٧٣.

فأدى إعلانه ذلك إلى قتل أبناء الوليد لإبطال دعوته وشعاره حتى لا يصل إلى منصب الخلافة إلا أنه أستطاع هزيمة جيوش ابراهيم بن الوليد واعتلى منصب الخلافة والملاحظ هنا أنه أمن سليمان بن هشام ت ١٣٢هـ / ٧٥٠م - وابراهيم بن الوليد اللذان اشتركا في قتل الوليد بن يزيد وأمر بقتل ابنائه الحكم وعثمان واصطحبهم معه إلى حران[١]،وتناسى مرة أخرى شعاره ومبدأ ثورته ولكن هذه المرة ليس من أجل ولاية من الولايات ولكن من أجل منصب الخلافة نفسه حيث بايعه أبو محمد السفياني* بالخلافة مظهرا للجميع أن هذا هو طلب أبناء الوليد ابن يزيد[٢] .

أيضا دعا المختار الثقفي ت٦٧هـ /٦٨٦م إلى الثأر من قتلة الحسين بن علي - رضي الله عنه - ت ٦١هـ /٦٨٠م وجعله شعاراً لثورته على بني أمية ودعا لمحمد بن الحنفية ت ٨١هـ/ ٧٠٠م " ثم إن المختار قويت شوكته ففتك بقتلة الحسين فضرب بعنق عمربن سعد " فنجد أن المختار أستطاع أن يطبق شعار ثورته في القصاص إلا أنه طمع في الزعامة لنفسه حتى تمكن مصعب بن الزبير من قتله. [٣]

١- ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٧٣

٢- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص ٣١١.

*فقد كان محمد السفياني وأبناء الوليد بن يزيد الحكم وعثمان بسجن يزيد بن الوليد وبعد هزيمة سليمان بن هشام أمام جيوش مروان بن محمد أجتمع رأيه ورأى ابراهيم بن الوليد على قتلهم وقدر للسفيانى النجاة إثر اقتحام جيش مروان بن محمد لدمشق وهرب ابراهيم بن الوليد وأخرج السفياني من سجنه وقال على لسان الحكم بن يزيد بن الوليد ألا يا ليت كلبا لم تلدنا ... وكنّا من ولادة آخرينا أيذهب عامر بدمى وملكي ... فلا غنّا أصبت ولا سمينا
فإن أهلك أنا وولىّ عهدي ... فمروان أمير المؤمنينا (الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧، ص ٣١١،ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ص ٣٦٧.)

٣- مجهول : أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، ص ١٨٠، محمد بن حبيب : المحبر ، ص ٤٩١، ابن الأبار : الحلة السيراء، ص٦٧، ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٦٤، ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٤٣، ٣٥٦،الدينوري : الأخبار الطوال، ص ٢٨٨،٣٠٢، الطبري : المصدر نفسه ، جـ ٦، ص ٦ ،١٣، ١٠٧،١٤، وانظر جمال الدين الشيال : تاريخ الدولة العباسية ، ص ١٧، علي الصلابي : خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ص ٩٩.

ويتضح هذا من قوله للسائب بن مالك الأشعري ت ٦٧هـ /٦٨٧"إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم، إلا أني قد طلبت بثأر اهل بيت النبي - ﷺ - إذ نامت عنه العرب، فقتلت من شرك في دمائهم"[١]

مبدأ العدل والمساواة

إن العدل والمساواة مبدأ عقائدي لدى المسلمين رسخه النبي -ﷺ- ودعا إليه حيث قال في معنى حديثه "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[٢]

١- البلاذري : أنساب الأشراف ، جـ٦، ص٤٤٠، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،جـ٦، ص١٠٧، الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ٥، ص٥٩.

٢- أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ ٣٨ ، ص ٤٧٤، وانظر محمد عبد المولى : الحضارة العربية الإسلامية تتحدى ، ص٢٤ ، ٢٥، ٢٧، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٨٠.

وكما كان هذا المبدأ سببا في دخول العديد إلى الإسلام كان أيضا سببا في تشرذم الدولة الإسلامية بثورة الكثيرين منهم على الحكام الذين أغفلوا هذا المبدأ حيث برز هذا الأمر مع الخوارج واتخذوه شعارا ومبدأ ثوريا خرجوا من أجله وفنوا أرواحهم من أجل تطبيقه فعلى الخليفة أن يخضع لما أمر الله وإلا كان الخروج عليه حقا واجبا ثم تطورت آراؤهم ومزجوا تعاليمهم السياسية بأبحاث دينية .

ويتضح ذلك من خطبهم وشعاراتهم فكان من حديث عبدالله بن وهب الراسبي* أنه قال " ...إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق والجهاد في سبيله ... واشهد على ان اهل دعوتنا من اهل ديننا ان قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب وجاروا في الحكم، وان جهادهم لحق، " [1]

١- الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٠٢، ٢٠٣، وانظر أبوزيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٣٣٣، أحمد الحفناوي : الحضارة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية ، ص ٢٠٩.

* عبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج يوم النهروان

بنو راسب - بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو راسب بن مالك بن جدعان بن مالك بن نصر (السمعاني : الأنساب ، جـ ٦ ، ص ٣٧، القلقشندي :نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص٢٥٧، وانظر الزركلي : الأعلام، جـ ٣، ص١١).

أيضا كان مما احتج به أبوحمزة المختار بن عوف الأزدي الإباضي* على أهل مكة ١٢٩هـ /٧٤٦م موضحا لهم سبب ثورته حيث قال " أَيها الناس سألناكم عن ولاتكم هؤُلاء فقلتم فيهم والله الذي نعرف قلْتُم أخذُوا المال من غير حله فوضعوه في غير حقه وجاروا في الحكم واستأثروا بحقوقنا وفيئنا فجعلوه دولة بين أغنيائهم وَذَوي شرف الدنيا منهم وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا فِي مهور النساء وفروج الْإِماء فقلنا لكم تعالوا إِلَى هؤلاء الَّذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل اللَّه"(١)

١ـ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ص٣٨٦ ، انظر عبدالشافي عبد اللطيف : السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ص ٢٥٨، علي الصلابي: الدولَة الأموية عوامل الازدهارِ وتداعيات الانهيار، ص ٦٧٦، عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة،ص ٣٢٨ .

* الخوارج الإباضية هم اتباع عبد الله بن إباض وهو من بني مرة بن عبيد ت٨٦هـ /٧٠٥م ، قالوا إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ،ومناكحتهم جائزة ،ومواريثهم حلال ،وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال وما سواه حرام ، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلية إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة وقالوا إن دار مخالفينا من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فانه دار بغي ، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم (الشهرستاني :الملل والنحل ، جـ١، ص١٨١، ابن رسته الأعلاق النفيسة، مج٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان،ط١، ١٩٨٨، ص٨٩٥، البرادي :دراسة في تاريخ الإباضية وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضية ، تحقيق محمد زينهم عزب، أحمد عوض، دار الفضيلة للنشر، القاهرة ، دت ، ص٦، ١٢ أبو زيد شلبي : المرجع نفسه ، ص ٣٣٣، ٣٣٤) .

واتضح هذا أيضا من شعرهم حيث قال احد الأزارقة* بعد محاربتهم لجند عبيد الله بن زياد والي البصرة سنة ٨٠ هـ /٦٩٩م
أطعتم امر جبار عنيد ... وما من طاعة للظالمينا[١]
والسؤال هنا
هل التزم الخوارج بهذا المبدأ والشعار وتم تطبيقه على أرض الواقع ؟
لقد أعلن الخوارج مبدأ المساواة بين العرب والموالي في الحقوق والواجبات حيث نادوا بأن الخلافة جائزة في العرب *وغيرهم ، وبالرغم من ذلك نجد أنهم لم يلتزموا بهذا المبدأ بالرغم من دعوتهم به وثورتهم من أجله .

فنجدهم فضلوا العرب على الموالي في الإمارة والولاية فولوا أمرهم ابا طالوت سالم بن مطر مولى بنى مازن بن بكر بن وائل في اليمامة ثم قاموا بخلعه وبايعوا لنجدة بن عامر الحنفي العربي صاحب القبيلة والعصبية والنسب سنة ٦٦هـ مظهرين سبب مبايعتهم لنجدة إلى حسن قيادته لهم ولم يصرحوا بالنعرة القبلية خوفا من تفرق الموالي عنهم " رأى الخوارج أن نجدة خير لهم من أبي طالوت فخالفوه وبايعوا نجدة" [٢].

١ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص٢٦٩.
* الأزارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق وكان من أكبر فقهائهم وفرقته أكثر فرق الخوارج ويرون تكفير مخالفيهم ويجيزون قتلهم ويستحلون قتل أطفالهم ونسائهم ولا يجيزون التقيه في قول أو فعل (المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، جـ ٢، ص١٤٥ ،١٤٦، البغدادي : الفرق بين الفرق ، تحقيق / محمد محي الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، دت ، ص٨٧، أبوزيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، ص ٣٣٣)

* فإنهم كانوا يرون أن القصد من إمامة المسلمين إنما هو توجيههم إلى الصلاح وابعادهم عن الشر والسيرفيهم بأوامر دينهم غير ناظرين في ذلك ‘اى بيت أو قبيله بل إلى ما في الشخص من مقدرة وكفاءة وكفاية (الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ١، ص١١٦، وانظر أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، ص ٧٩.)

٢ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٣،ص ٢٥٥، ٢٨٢، ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، جـ ٣، ص ١٨٣، الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جـ ٥، ص ٤٤،وانظر جمال الدين الشيال : تاريخ الدولة العباسية ،ص ٨ ، ابو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، ص ٧٩، ٨٠، ٣٣٢.

وبالرغم من ذلك نجدهم يثوروا على نجده بن عامر لمخالفته لمبدأ العدل حيث أنه أعطى سرية البحر أكثر من سرية البر ، ولمسامحته للجنود الذين ساروا إلى القطيف على أكلهم من الغنيمة قبل القسمة ولنكاحهم النساء قبل القسمة ، ولمكاتبة عبد الملك له ، ولتعطيله حد الخمر على أحد جنوده بحجة أنه له بأس على الأعداء " عطل إقامة لحد الخمر في جندي من جنوده لبأسه على الأعداء " عندئذ ثاروا عليه وقتلوه وولوا عليهم ثابت التمار فأعترض عليه بعضهم نظرا لأنه من الموالي " حين فارقوا نجدة بايعوا ثابتا التمار، ثُمَّ قالوا: لا يقوم بأمرنا إلا رجل من العرب "فعزلوه عن منصبه وولوا عليهم أبا فدك عبدالله بن ثور من بني عبد القيس[١] وبذلك ظهر زيف الشعار الذي تنادوا به بالمساواة بين العرب والموالي وظهرت النعرة القبلية ووقعوا فيما أنكروه على بني أمية .

أيضا حدث نفس الأمر مع الخوارج الأزارقة أتباع قطري بن الفجاءة* بكرمان حيث ثاروا عليه وخلعوه وحاربوه فرحل إلى طبرستان بمن والاه وولوا عليهم عبد ربه الكبير، بسبب رفضه القصاص من المقعطر الضبي لقتله رجلا من الخوارج وذلك بحجة بأسه وشجاعته على الأعداء " إن رجلا منهم كان عاملا لقطري على ناحية من كرمان خرج في سرية لهم يدعى المقعطر من بنى ضبة، فقتل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج، ودخل منهم في ولاية، فقتله المقعطر، فوثبت الخوارج إلى قطري، فذكروا له ذلك، وقالوا: أمكنا من الضبي نقتله بصاحبنا، فقال لهم :ما أرى أن أفعل، رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه، وهو من ذوي الفضل منكم، والسابقة فيكم، قالوا: بلى ،قال لهم: لا، فوقع الاختلاف بينهم، فولوا عبد رب الكبير، وخلعوا قطريا،وبايع قطريا منهم عصابة نحوا من ربعهم أو خمسهم، فقاتلهم نحوا من شهر غدوة وعشية"[٢]

١ـ البلاذري : أنساب الأشراف ، جـ ٧، ص١٨٤، ١٨٥، ٤٤٥.
٢ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٦، ص٣٠٣.
*أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في طلب قطري بن الفجأه وقتاله، سفيان بن الأبرد مع جيش عظيم من أهل الشام الذي تمكن من هزيمته وقتله بطبرستان (الطبري : المصدر نفسه ، جـ ٦، ص ٣٠٩.)

وبذلك نجد أنه كما كان هذا الشعار سببا في تجمعهم كان سببا في تفرقهم وتشرذمهم ومما سبق نستنتج أنهم رفعوا شعاراً وفشلوا في تطبيقه على أرض الواقع .

هذا وقد أعلن يزيد بن الوليد شعار العدل والمساواة أثناء ثورته١٢٦هـ/٧٤٣م على ابن عمه الوليد بن يزيد وقد اتضح هذا الأمر أثناء خطبته التي تضمنت على مبادئه وشعاراته " أن لكم عندي إن وليت أموركم ألا نضع لبنة على لبنة ولا حجر على حجر ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد ثغره وأقسم بين مسالحه ما يقوون به فإن فضل فضل رددته إلى البلد الذي يليه وهو أحوج إليه حتى تستقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيها سواء ولا أجمر بعوثكم فتفتنوا ويفتن أهليكم "[١]

السؤال الذي يطرح نفسه هنا

هل نفذت وطبقت هذه الشعارات على أرض الواقع والتزم بها خلفائه من بعده

إن مدة خلافته لم تدم لفترة زمنية طويلة حتى نحكم على صدق المبدأ بل كانت بضعة أشهر ولكنه خلالها اتخذ خطوات أكدت صدق دعوته مع المساندين له حيث أنه صرف بسخاء على المساندين له والداعمين لموقفه، أيضا اتضح ذلك من موقفه من أهل قبرص وثناء الفقهاء على فعله " فإن الوليد بْن يزيد قَدْ كان أجلاهم إِلَى الشام فاستقطع ذلك المسلمون واستعظمه الفقهاء، فلما ولى يزيد بْن الوليد بْن عَبْد الملك ردهم إِلَى قبرص فاستحسن المسلمون ذلك من فعله ورأوه عدلا"[٢] " وكان محمود السيرة، مرضيّا"[٣].

١ـ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٦٥، الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، جـ ٢، ص ٣٢١.

٢ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٥٧.

٣ـ ابن قتيبة : المعارف ، ص٣٦٧

مبدأ الشرعية وعدم الاستئثار بالحكم

من الشعارات البراقة التي أستخدمها معظم الطامحين إلى الحكم لجذب مزيد من المؤيدين ولتحقيق نصراً سياسيا من أجل النصر الحربي وحسم الموقف .

وقد أتضح هذا الأمر مع الأمويين الذين أسسوا دولتهم على الشرعية المكتسبة من المطالبة بدم عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وذلك بإعلان معاوية بن أبي سفيان أنه ولي دم عثمان -رضي الله عنه-، وأعطى لنفسه الحق في المطالبة بدمه والقصاص له تمهيدا لطلب الخلافة بعد أن تطور الأمر مع الحسن بن علي - رضي الله عنهما - وتنازله عن الخلافة والصلح مع معاوية - رضي الله عنه - [1]

كذلك أتضح هذا الشعار مع مروان بن محمد عندما أتخذ من شعار الشرعية والبيعة لولي العهد الحكم وعثمان أبناء الوليد بن يزيد ذريعة وسبابا للوصول الى كرسي الخلافة، من خلال الثورة والدعوة بأحقيتهم في الخلافة ،فشحذ نفوس جنوده بالعامل الديني مظهراً لهم أن حربهم هذه جهاد وواجب على كل مسلم " أنهضوا لمحاربة هذا القدري أخا القدري المبتز لأمور الناس الآمر بالبدعة والضلالة فإن جهاده واجب على كل مسلم " ثم استخدام الشعر كوسيله دعائية للترويج بأن أصحاب الحق تنازلوا عن حقهم في الخلافة عند موتهم له، وبذلك يكون قد ألبس الشرعية لثورته ودعوته

أيذهب عامر بدمى وملكي ... فلا غثّا أصبت ولا سمينا
فإن أهلك أنا وولىّ عهدي ... فمروان أمير المؤمنينا [2]

١- سيف بن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص ١٠٢، ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء،جـ ٢ ، ص ٥٢٩. ٥٣٠، الثقات ، جـ ٢، ص ٢٨٤، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤،ص ٤٤٤، ٥٦١، جـ ٥، ص ١٦٢ ،١٦٣ ، ١٦٤، الدينوري : الأخبار الطوال ، ص٢١٨ ،وانظر أبوزيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، ص ٨٣، ٨٤، ٨٥.

٢-الطبري: المصدر نفسه ،جـ ٧، ص ٣١١، ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٦٧، البلاذري : أنساب الأشراف ،جـ ٩ ، ص١٩٩، وانظر watt: Islam And Integration Of Socity,p.160.

الخاتمة

هذا وقد انتهت هذه الدراسة من خلال الوقوف على المبادئ والشعارات الثورية وتحليلها ومقارنتها إلى أن القاسم المشترك بينها هو أنها كانت بمثابة انعكاس للواقع الذي عاشه المجتمع في تلك الفترة وأن استجابته وانبهاره بهذه الشعارات والمبادئ كان متوقفا على مدى ايمان المجتمع بها وتعبيرها عن واقعه وتجسيدها له لذلك حرص قادة هذه الثورات على صياغة واستخدام شعارات براقة لجذب مزيد من الأتباع لضمان نجاح أهدافهم للوصول لسدة الحكم والخلافة

وبالرغم من أن هذه الشعارات والمبادئ الثورية أفنى فيها أصحابها أرواحهم إلا أن معظمهم فشلوا في تطبيقها على أرض الواقع بالشكل المأمول فنجد أن الخوارج طالبوا بالمساواة ومع ذلك نجدهم يميلون إلى العنصرية وعدم العدل والمساواة في تفضيل العرب على الموالي في توليهم للقيادة والزعامة ،

ايضا نجد الأمويين أنفسهم يرفعوا شعار ومبدأ القصاص ويتغافلوا عن تطبيقه بعد الوصول إلى سدة الحكم والخلافة

نخلص من ذلك أنه بالرغم من صدق هذه المبادئ والشعارات وتعبيرها عن واقع المجتمع إلا انها لم تطبق على أرض الواقع بالشكل المأمول

توصيات الدراسة

ـ عدم الانخداع بالشعارات والمبادئ الثورية البراقة وادراك الأغراض الحقيقية لها .

ـ أنه بالرغم من تجسيد المبادئ والشعارات الثورية للواقع الذي يعيشه المجتمع وما يطمح أن يكون عليه في المستقبل إلا أن ذلك لابد أن ينعكس على سلوك المنادين بها حتى يضمن لها التطبيق والنجاح.

ـ عدم الإنخداع والانصياع وراء أصحاب الطموح السياسي الذين يستخدمون الدين وسيلة وشعار من أجل تحقيق مأربهم وطموحهم السياسي.

ـ بالإخلاص والتجرد من الأهواء والمأرب الشخصية يضمن تجسيد وتطبيق الشعارات والمبادئ الثورية على أرض الواقع.

المصادر

ابن الأبار(محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ت ٦٥٨هـ)

١ـ الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف ، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير ت ٦٣٠هـ)

٢ـ الكامل في التاريخ، جـ٢،تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت ،لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١هـ)

٣ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ ٣٨ ،تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون،إشراف عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.

البرادي :(أبو الفضل أبو القاسم بن ابراهيم ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م)

٤ـ دراسة في تاريخ الإباضية وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضية ، تحقيق محمد زينهم عزب، أحمد عوض، دار الفضيلة للنشر، القاهرة ، دت.

البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ /١٠٣٧م)

٥ـ الفرق بين الفرق ، تحقيق / محمد محي الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، دت .

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذُري ت ٢٧٩هـ)

٦ـ جمل من أنساب الأشراف، جـ ٢، ٧، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي،دار الفكر – بيروت ،ط١، ١٩٩٦ م.

٧- فتوح البلدان ،دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨ م

ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت٥٩٧هـ)
٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جـ٥،تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ت ٣٥٤هـ)
٩- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، جـ ٢، صحّحه وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء ، الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ
١٠- الثقات ، جـ ٢،دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٩٧٣م.

ابن خياط (أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري ت ٢٤٠هـ)
١١- تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة ،دمشق ، بيروت،ط٢، ١٣٩٧هـ .

الديار بكري(حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري ت ٩٦٦هـ)
١٢- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، جـ ٢، ،دار صادر ، بيروت، دت.

الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ت ٢٨٢هـ)
١٣- الأخبار الطوال ، تحقيق: عبد المنعم عامر،مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.

الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت٧٤٨هـ)

١٤ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، جـ ٥، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٢ ، ١٩٩٣ م.

سيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي ت ٢٠٠هـ
١٥ـ الفتنة ووقعة الجمل ، تحقيق أحمد راتب عرموش ، دار النفائس، ط٧، ١٩٩٣م.

الشهرستاني (أبو الفتوح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد ت ٥٤٨هـ)
١٦ـ الملل والنحل ، جـ١، المطبعة الأدبية ، مصر ، ط١، ١٣١٧هـ.

ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر ت ٢٩٠هـ /٩٠٣م)
١٧ـ الأعلاق النفيسة، مج٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان،ط١، ١٩٨٨.

المبرد (أبو العباس محمد بن زيد ت ٢٨٥هـ /٨٩٨م)
١٨ـ الكامل في اللغة والأدب ، جـ ٢، تحقيق مجموعة من المحققين ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٩م .

الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت ٣١٠هـ)

١٩ـ تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤، جـ ٦، جـ ٧ ، دار التراث ، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)

٢٠ـ المعارف،تحقيق: ثروت عكاشة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط٢، ١٩٩٢م.

القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١هـ)

٢١ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

مجهول (المتوفى: ق ٣هـ)

٢٢ـ أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ،تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، دت.

المقدسي (المطهر بن طاهر المقدسي ت ٣٥٥هـ)

٢٣ـ البدء والتاريخ ، جـ ٦، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر ، دت .

محمد بن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي ت ٢٤٥هـ)

٢٤ـ المحبر ،تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت،دت.

ثانيا ـ المراجع العربية

أحمد الحفناوي

١ـ الحضارة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، ١٩٧٩م.

جمال الدين الشيال

٢ـ تاريخ الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي ت ١٣٩٦هـ)

٣ـ الأعلام،دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

أبو زيد شلبي

٤ـ تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٧، ١٩٨٨م.

على ابراهيم حسن

٥ـ التاريخ الإسلامي العام – الجاهلية ، الدولة العربية ، الدولة العباسية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، دت.

علي محمد محمد الصلابي

٦ـ خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه،مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠٠٦م.

٧- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ، جـ١، ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م.

كرين برنتون
٨- دراسة تحليلية للثورات ، ترجمة عبد العزيز فهمي ،مراجعة محمد انيس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،الشركة المصرية للطباعة ، القاهرة ، دت .

محمد عبد المولى

٩- الحضارة العربية الإسلامية تتحدى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط١، ٢٠٠٠م.

محمد سهيل طقوش
١٠- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٣م

الرسائل العلمية

جميل إبراهيم خليل بيضون

١- الفتنة الأولى ونهاية الخلافة الراشدة٣٠-٤٠هـ (اطروحة دكتوراة ، كلية الأداب والعلوم الانسانية ، جامعة القديس يوسف ،بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤م)

المراجع والدوريات الأجنبية

1- Stewart (P.J.)
1- Unfolding Islam , Britsh Library, printed in Lebanon , First edition , 1994.

Gordon (Matthew S.)
2-The rise of islam, printed in the united States of America, first published, 2005.

Watt (Montgomery)
3- Islam and the integration of society, North Western university, 1961.

Donner (Fred M.)
4-Muhammad And Caliphate,p.16 (History of Islam, Edited by Johnl. Esposito, oxford Uneveristy,1999).